ردّ على التعريض الواضح

وردت علينا الرسالة الآتية: لولا اني لا ارى تنزيل صاحب هجرة السلالة الاورية منزلة مَنْ لا يهتمّ بمرامه ولا يلتفت الى كلامه لاغفلت مُدّعاهُ واهملت مقتضاهُ ولولا ان تكون غاية العلم وآية الحلم وضوح الاحتجاج واجتناب اللجاج لما عدمت التعريض مقالاً والمقال مجالاً ولولا الاجماع على أنّ مَنّ الف بين كلمتين فقد عرض عقله للناس لما اسفت لقوله ان تعريضاته بي كانت عن غير عمد حتى لم يخطر لي انه شعر من نفسه ان ردودهُ التي تعمّدها جاءت غير مرضية فعدل الى ما رآهُ اقرب الى الاصابة ذلك فضلاً عمّا في جعله سكوته قولاً وقوله سكوتًا الذي لم ازد عند قراءته على ان قلت

فيا عجبي ممّن بعدّ كلامهُ سكوتًا وقد عدّ السكوت كلاما

اذا قلت ان اهديه مدحًا فاختشي بان يحسب المدح الصريح ملاما

وكيف كان فان مقالته اخلاق الدمشقيين وما اجرّت اليه اجوبته بعدها من المناقضة فيها ممّا سمّاهُ اعتراضات لا طائل تحتها كل ذلك لم يكن في السرّ ولا جعل تحت ستر فيا بالهُ لا يرتضي بنظر قرّاء المقتطف الى اقوال ساقطة الحجة منا بعين الاستصغار أ ولا يكفي ذلك جزاء للمخطي وجائزةً للمصيب أ ولم تحصر المناظرة في ثلاث قضايا احداها تتصلة الى الدمشقيين والثانية سهوهُ عن موقع نهر الكنك. والثالثة غفلته عن تعيين الزمان والمكان المناقش على عدد سكان سوريا فيهما كما في صفحة ٤٩ من مقتطف السنة الخامسة بعد دفعي عنه في صفحة ٣٠٠ من السنة الرابعة بان ذلك ليس عن جهل منه بالجغرافية ورجوت له ان يكون من قبيل خطإ السهو ولحت بالتيه الى تيهه بهذا المقال وفي كل ذلك لم تكن الهجرة قضية ولا من مشتملات قضية من قضايا المناظرة ولم يعرض ذكرها اخذًا من كلامه الاّ لبيان الطريق الذي جعله خطًا من بلاد العجم الى اوربا. ومنشأ الانتقاد عبارته هذه بحروفها: "لم ينشأ الفرع الاوربي في اوربا ولكنه هاجر اليها من ربى البلور ومن هندكوش متجاوزًا مخارا وشواطئ بحر الخزر العجمية وكابل حتى وصل الى نهر الكنك في الهند فقطعه وسار الى تلك القارّة". ومهما يكن فيها فانها نصّ لا يحوّل ولا يأوّل بان كابل ونهر الكنك بل الهند يجعلها عنده بين بلاد العجم واوربا والظاهر من سكوته المدة الطويلة انه لم يعد واحدًا مقالاً في شيء من قضايا تلك المناظرة فجاء يدعوى الهجرة وهي كما لا يخفى غريبة كل الغرابة الاّ ان يكون احبّ افتتاح مناظرة اخرى فاخطأ باخباره موضوعًا يتبادر منه الاستدلال على فراغ القلب والوقت معًا

كاتبه

ظاهر خير الله

الشويري